وظيفة القبو في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني.

Role of Al-Qbo in the architecture of Algiers city in the Ottoman era.

دة/ بن قويدر سامية*

جامعة الجزائر–2–

samiakerpic@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/01 تاريخ القبول 2022/09/28 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني، المتميزة بابتكاراتها واستخدامها لعناصر تخدم وظائف معينة، كونها جاءت كحلول معمارية عدا دورها الإنشائي والجمالي، لإبراز مدى الرقي المعماري ودقة التخطيط الذي وصلت إليه هذه المدينة المتميزة باكتظاظ مبانيها، لذلك اخترنا عنصرا معماريا هاما متمثلا في الروشن الذي صُمم ليلبي وظائف مختلفة أوكلت إليه، بهدف تفادي مشاكل عديدة مست هذا النوع المعماري وجعلته بالشكل الذي برز به .

الكلمات المفتاحية: القبو؛ مدينة الجزائر؛ عمارة؛ عهد عثماني؛ وظيفة.

Abstract:

his study highlights the architecture of Algiers city in the Ottoman era, which is distinguished by its innovations and the use of elements serving defined functions. They were set as architectural solutions in addition to their structural and aesthetic role in order to show the degree of architectural development and accuracy of planning reached by this city characterized with dense buildings, therefore we have chosen an

* المؤلف المراسل

important architectural element namely Al-Qbo (the skylight), which was designed to satisfy different functions assigned to it, and in order to avoid many problems faced by this architectural type that gave rise to its distinguished form.

key words: Al-Qbo; Algiers city; architecture; Ottoman era; role.

مقدمة:

تحكمت عدة عوامل بشرية وبيئية في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني وأسهمت بالشكل الذي برزت به في تلك الفترة، حيث أنشأت عناصرها المعمارية لتأدية وظائف معينة، لتتلاءم ومحيطها بهدف توفير الراحة لساكنيها، لذلك نلاحظ تشابه مباني مدينة الجزائر من حيث الشكل العام، كونها صُمِّمت في نفس البيئة المنتمية إليها، لهذا السبب جاءت عمارتها بسيطة بشكل عام ومجردة من العناصر الزائدة، كون كل عنصر من عناصرها يلعب دورا معينا.

بناء عليه فضلنا اختيار نموذج للدراسة متمثل في "القبو" باعتباره من أهم العناصر المعمارية بمدينة الجزائر شكلا ومضمونا، لإبراز جمال ووظيفية عمارة مدينة الجزائر في هذا العهد من خلاله، خصوصا وأنه عنصر نسوي بامتياز أين يجلسن ويعوضن ما يفوتهن في الخارج مع مراعات عدم ضرر كشفهن، إضافة إلى عوامل أخرى تعامل معها هذا العنصر المعماري والتي سنتطرق إليها في هذا البحث. لذلك سنتناول في هذه الدراسة وظيفة القبو باعتباره حلا معماريا لمشاكل عدة، حيث لعب أدوارا في مجالات مختلفة كالمجال الديني والمناخي والاجتماعي والنفسي وغيرها تم حلها من خلال هذا العنصر المعماري مُعطيا بذلك طابعا مميزا للمدينة.

لتحقيق ذلك وللوصول إلى النتائج المرجوة طرحنا إشكالية محورية متمثلة في: ماهي وظيفة القبو في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني؟ وماهي الحلول التي قدمها لتوفير الراحة للسكان؟

تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية إشكاليات أخرى ثانوية تخدم هذا البحث مثل: فيما تمثل القبو؟ ماهو الروشن؟ كيف ساهم القبو في توفير حياة أفضل للنساء؟ وغيرها ذلك من الأسئلة التي تساهم في اثراء هذا الموضوع.

للإحاطة بموضوعنا كما يجب طرحنا إشكالية محورية في مقدمة البحث، تلتها مباحث يتمثل أولها في المصطلحات المتعلقة بالقبو والمصطلحات الشبيهة به، وثانيها متمثل في وظيفة القبو في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني في مختلف المجالات والحلول المعمارية التي يعطيها لتفادي المشاكل المعروفة في تلك الفترة.

1-بعض المصطلحات المتعلقة بالقبو والفراغات المشابهة له:

قبل الحديث عن وظيفة القبو والحلول المعمارية التي يعطيها لسكان مدينة الجزائر وجب تعريفه وإعطاء ذكر للعناصر المعمارية المشابهة له، لتقريب الفهم وإعطاء لمحة عن هذا النوع من الفراغات المعمارية كما يلي:

1-1-القبُو:

نعني به القُبُو وليس القَبو، وهو مأخوذ عن كلمة قبة التي تسقف هذا الفراغ في ديار الفحص، وعلى الرغم من غياب هذه الأخيرة في مباني المدينة إلا أن القبو قد حافظ على تسميته هذه، التي تُطلق على فراغه الداخلي أما بروزه الخارجي في المدينة فيعرف "بالروشن". يكون القبو في الغالب مسقوفا بقبة تعلو فضاء مربعا منفتحا بثلاث نوافذ واسعة مطلة على ثلاث جهات خارجية[1]، بشكل يبدو فيه عبارة عن كشك أو غرفة صغيرة[2]. هذا فيما يخص قبو ديار الفحص، أما قبو منازل المدينة فهو عبارة عن فراغ مستطيل بتجويف بسيط داخل الجدار، يلاحظ فيه غياب القبة في السقف، لأن الحيز المكاني لا يسمح بإنشائها كونه لا يقام بشكل جناح، حيث يكون خاضعا للنسيج العمراني المتضام لمدينة الجزائر، فبروز الروشن على الخارج يكون على حسب عرض الأزقة، أو على حسب واجهة المنزل المقابل له إن كانت تحتوي على روشن أم لا، لذلك

يبلغ بروز الروشن0.5م على الفضاء العمومي الخارجي كحد أقصى[3]. يقع القبو في وسط خلفية جدار الغرفة وبهذا يأتي على نفس محور بابها المنفتح على وسط الدار[4]. يزين بعقود وبخزائن حائطية كما تزين فتحات قبته الأربع بشمسيات متعددة الألوان والزخارف في ديار الفحص.

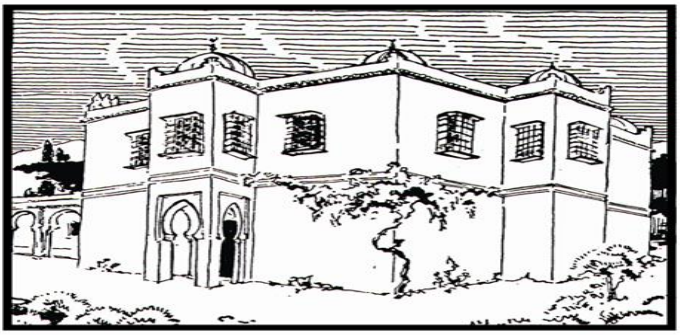

الشكل رقم 1: قبو فحص مدينة الجزائر. عن: Marçais (G.)

1-2- الروشن :

هو البروز الخارجي لهيكل قبو مدينة الجزائر، حيث يبرز جدار الطوابق العليا على الطريق للاستفادة من مساحة إضافية نحو الخارج، دون أن تحمل على أعمدة منجزة على سطح الأرض[5]، بشكل بنائي وليس خشبي مثل ما هو معروف في المشرق بالمشربيات وغيرها. إن الهدف الأساسي من إنجاز الروشن هو ربح فضاء علوي والاستفادة من الطريق أسفله حيث يُحمل على أعمدة خشبية موضعية تدعى "بالقواطن" باللهجة المحلية وهي ما يفرقه عن رواشن المدن الأخرى.

اللوحة الفنية رقم1: رواشن مدينة الجزائر للرسام أ. أوث. عن: متحف الفنون الجميلة.

1-3- المشربية:

تتمثل المشربية في حاجز خشبي بارز، يتم إنجازه من خلال قطع خشبية صغيرة مستطيلة الشكل، تُجمع في أشكال هندسية دقيقة بصفة متقاربة ومتباعدة مما يعطي هيئة حاجز مخرم[6]. أشتق اسم مشربية من فعل شرب، وهذا راجع لاستغلال المشربية لتبريد المشروبات كونها توضع خلف ثقوب الحاجز الخشبي للاستفادة من الهواء المنعش[7]، وبذلك حرفت تسميتها من مشربة إلى مشربية، ومنهم من يرجح أن تسميتها جاءت من مشرئبة التي تعني مد العنق للنظر. كذلك نجد من ضمن تسمياتها العلية كونها تلعب دور نافذة في الطوابق العليا، لذلك ترتبط تسميتها بالمنظرة في الغالب، التي تطلق على الغرفة الصغيرة البارزة عن الجدار[8].

1-4- الأغاني:

تدل تسمية الأغاني المشتقة من فعل غنى على أنها خاصة بالحفلات والمناسبات الغنائية، تكون شبيهة بالمشربيات كونها تنجز بشكل حواجز خشبية تغطي ممرات علوية مطلة على قاعة أو إيوان أو صحن. بنيت الأغاني في الطوابق العلوية من المباني بمقاعد

منجزة من الداخل لجلوس النساء، سواء المغنيات لإطراب الحاضرين من الرجال بالأسفل، أو من أهل الدار لرؤية ما يدور في القاعة أو الفناء الذي تحتهن[9]، حيث تستدعي الحاجة في بعض الأحيان اطّلاع النساء على ما يجري من أمور تتعلق بهن، كالخطبة أو الزواج، و غيرها من المناسبات التي تستدعي مشاركة الرجال دون الاختلاط بهم، فهي بذلك تعمل على حجب النساء خلفها وبالتالي تفادي كشفهن على الرجال[10].

1-5- الكشك:

يتمثل البروز الخارجي لقبو فحص مدينة الجزائر في الكشك، الذي يكون بشكل شرفة مغطاة ومغلقة، حيث يبرز الجزء المركزي للجدار الخارجي لغرفة ما نحو الخارج بنوافذ مطلة على الجهات الثلاث في شكل مقدمة بناء. يدل الكشك على صيوان مقصورة في حديقة[11] ، ويمكن اعتباره كجناح كونه يحمل على أعمدة. يعود أصل كلمة كشك (Köşk) إلى اللغة الفارسية، ومنها إلى اللغة العثمانية حيث أُستخدمت للدلالة على المنازل الخاصة بالمزارع والأراضي الفسيحة في العمارة العثمانية، وحتى المنازل التي تكون واقعة داخل الحدائق أو محاذية لساحل البحر، وتطلق كذلك على البناء الصغير المزخرف بشكل جميل، والذي يكون مستقلا في حديقة قونق(Konak) أو سرايا(Saray)[12].

-6-الإيوان:

نعني بالإيوان قاعة العرش وأصل الكلمة فارسي يُطلق على الصُفة العظيمة المرتفعة عن مستوى الأرض، التي تحيط بها الجدران من الجهات الثلاث، ويطلق كذلك على صالة الاستقبال أو المجلس الذي يكون بشكل قاعة مقببة ومنفتحة على الخارج من خلال عقد من جهة واحدة [13]. إذا أردنا إسقاط الإيوان على العمارة الجزائرية في العهد العثماني فيمكن تشبيهه بقبو فحص مدينة الجزائر[14].

1-7- الجومبا:

تشبه الرواشن التركية البارزة على واجهات المنازل رواشن مدينة االجزائر نوعا ما [15] وتُدعى عندهم بالجومبا[16]، والتي تنتشر بشكل كبير في منطقة الأناضول، أين نجدها منجزة بأشكال مختلفة سواء بهيكل بنائي أو خشبي من ناحية المواد البنائية، أما من ناحية الشكل عموما فنجدها بشكلين الجومبا الخاصة بالغرف والجومبا الخاصة بالكنبة [17]، أما الكنسول فهو عبارة عن جومبا ببروز بسيط [18].

2-وظيفة القبو :

تسلط هذه الدراسة الضوء على عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني، المتميزة بابتكاراتها واستخدامها لعناصر تخدم وظائف هامة، كونها جاءت كحلول معمارية عدا دورها الإنشائي والجمالي، لإبراز مدى الرقي المعماري ودقة التخطيط الذي وصلت إليه هذه المدينة المتميزة باكتظاظ مبانيها، لذلك اخترنا عنصرا معماريا هاما متمثلا في القبو الذي صُمم ليلبي وظائف مختلفة أوكلت إليه، بهدف تفادي مشاكل عديدة مست هذا النوع المعماري وجعلته بالشكل الذي برز به. تفاعل قبو مدينة الجزائر مع الوسط الخارجي المحيط به ليوفر احتياجات السكان، كونه انجز لتأدية وظائف معينة تعمل عللى تفادي المشاكل التي يمكن أن تصادف سكان المدينة وخصوصا النساء منهم، لذلك سنقوم بدراسة بروز القبو على الخارج بما يُسمى بالروشن، لنرى تفاعل هذا االفراغ المعماري مع الوسط الخارجي والوظيفة الموكلة إليه، كذلك استغلال فراغه داخليا لنبين وظيفته لمستخدميه من النساء. سنوضح فيما يلي الدور الذي يلعبه هذا العنصر في مجالات عدة كما يلي:

2-1-الدور المناخي:

تفاعلت عمارة مدينة الجزائر مع الوسط المناخي الذي بُنيت فيه، من خلال تخطيطها الذي انجز لأداء وظيفة متمثلة في توفير الراحة لسكانها من خلال مناخ مصغر داخلي

يقيهم من التقلبات المناخية الخارجية. لتوضيح ذلك سنتكلم فيما يلي عن الوظيفة المناخية التي يلعبها القبو كفراغ معماري لتوفير جو ملائم للسكان:

تبرز الرواشن على الطريق في المدينة للاستفادة من فضاء إضافي في الطابق العلوي، مساهمة بذلك من الناحية المناخية في تظليل جزءً من الأزقة التي تحتها، كما تعيق حركة الرياح فيها وتستغلها في تهوية الفراغ الداخلي لها[19]، خصوصا مع استخدام فتحتين متقابلتين في الفراغ الداخلي لها بشكل موازي للأزقة وبنفس المستوى، مما يجعل فراغها الداخلي مستفيدا بقدر من التهوية والإضاءة، وبالتالي توفير مكان مريح ومُضاءً ومنعش في نفس الوقت[20]. بالنسبة للفتحات الخارجية فإن لتقليلها وتصغير حجمها في القبو الأثر الكبير في الحفاظ على درجة الحرارة الداخلية، بعيدا عن التقلبات الحرارية الخارجية، سواء في الليل والنهار أو أثناء الصيف والشتاء[21]، كذلك في التقليل من شدة إبهار الضوء الداخل إلى الفراغات الداخلية، وهذا بالحد من قوة الإضاءة الخارجية، بالإضافة إلى التحكم في التيار الهوائي نتيجة لاختلاف درجة الحرارة داخل وخارج المنزل مما يولّد حركة هواء مستمرة، بسبب ضيق الفتحات الخارجية التي تحد بضيقها من التيار الهوائي الكبير وبالتالي التحكم بشكل جيد في حجم الهواء الداخل إلى المنزل، وما يؤكد ذلك هو كبر حجم نوافذ قبو ديار الفحص في الثلاث جهات التي تحده خارجيا، لجذب أكبر قدر ممكن من الهواء إلى داخل هذا النوع من الديار كونها مخصصة لقضاء العطل الصيفية في الغالب [22]. لتوفير تيار هوائي ملائم يمكنه دخول فتحات الرواشن بشكل جيد، تمت دراسة توجيه الأزقة كذلك في بمدينة الجزائر، حيث تم الإهتمام باستغلال الرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول مدة ممكنة خلال النهار، وهذا ما يلائم الأيام الصيفية الحارة، على العكس من الأزقة الموجهة من الشرق إلى الغرب، والتي تلائم الأيام الشتوية الباردة، كونها تكتسب أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس، وكذلك لتجنبها الرياح الشمالية الغربية[23]. لقد ساهمت الرواشن المتميزة بالبروز والتداخل في الواجهات في تقليل

المؤثرات الطبيعية وتوزيعها بنسب مختلفة على هذه الأسطح، كما أن لسمك جدرانها الأثر في حماية الفراغات الداخلية من التقلبات الجوية الخارجية، بالإضافة إلى اختيار اللون الأبيض لدهنها دور في امتصاص الأشعة الشمسية وعدم عكسها، كذلك كان لعلو الفتحات الخارجية في الروشن مقارنة بمستوى الطريق سببا في تفادي الأشعة الشمسية المنعكسة عن أرضية الطريق[24].

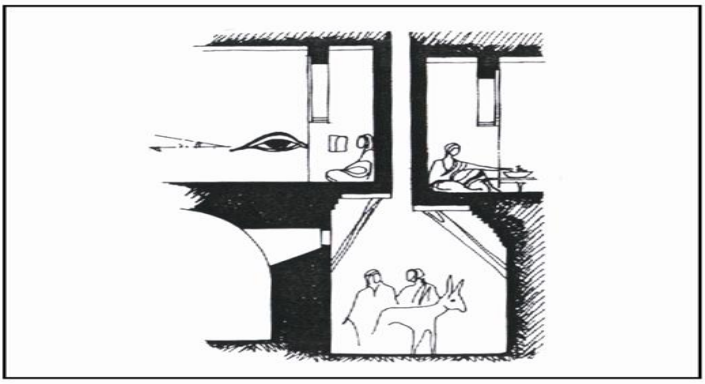

الشكل رقم 2: قبو مدينة الجزائر بارتفاع هام عن الأزقة. عن:(Ravéreau (A.

أما بالنسبة لقبة قبو الفحص فلها دور من الناحية المناخية كذلك، من خلال شكلها المنحني الذي يعمل على تقليل الضغوطات الحرارية على الفراغات الداخلية، بسبب سطحها الذي لا يتعرض بالكامل للأشعة الشمسية، كما تساعد حركة الهواء الناشئة ما بين الجزء المظلل من سطحها وجزءها المعرض لأشعة الشمس على التخلص من الهواء الساخن الملاصق للجزء المشمس، وبالتالي التخلص من المضاعفات الحرارية باستمرار[25].

2-2- الدور الديني:

خضعت مباني مدينة الجزائر لضوابط عرف البناء عند بناءها، المستند في الأساس على فقه العمران الذي يعزز المبدأ الإسلامي "لا ضرر ولا ضرار". تفرض أحكام البنيان

داخل مدينة الجزائر حق الارتكاب أو حق الهوى، المتمثل في الاستفادة من المساحة العلوية للمبنى[26] وبالتالي تعطي حق انجاز رواشن، شرط احترام حق الطريق باعتبار الطرقات والأزقة فضاء عموميا، يجب احترامه والمحافظة عليه بما يعرف بإماطة الأذى عن الطريق[27]، لذلك جاءت الرواشن بالشكل الذي بنيت به كي لا تضر بالمارة، حيث يُشترط في عملية انجازها عدم التحامل على الناس وأذيتهم، كأن تكون عالية كي لا تعيق المارة من تحتها أو حتى من جانبها، مهما كان نوعهم سواء مشاة أو فرسان أو أشخاص محملين بالأثقال[28]، وبذلك يحق لأي شخص من سكان المدينة تغطية جزء من الطريق بغرض بروز روشن فوقه، شرط عدم تضييق الطريق أو إدخال أي شيء من شأنه إلحاق الضرر بالمارة[29].

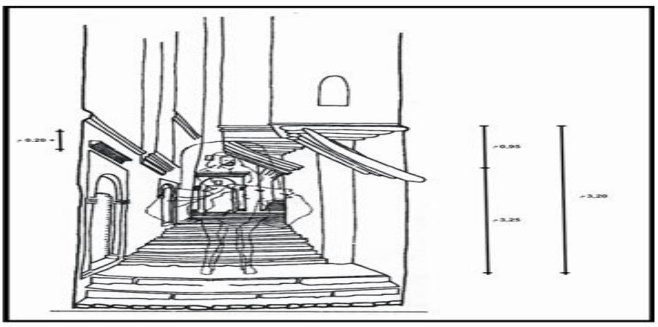

الشكل رقم 3: احترام قبو مدينة الجزائر لحق الطريق. عن: Missoum (S.)

أما فيما يخص ضرر الكشف فقد راعت الرواشن خصوصية ما بداخل المنزل، من خلال عدم فتح نوافذ واسعة مطلة على الطريق أو مشرفة على المنازل المجاورة، كما أن لارتفاع فتحات الروشن عن مستوى الطريق وصغرها، أثره في حماية المنزل من فضول المارة وبالتالي تفادي ضرر الكشف[30]، كدليل على ذلك نلاحظ أن القبو في ديار الفحص قد أنجز بنوافذ واسعة في جهاته الثلاث نتيجة عدم وجود منازل أخرى وبالتالي عدم كشف النساء. انفتاح القبو من الداخل على وسط الدار والخارج في نفس الوقت يمنح

النساء متنفسا بعيدا عن فضول الأجانب، وهذا ما يتماشى من الناحية الدينية مع الفقه الإسلامي، حيث يمنح استقلالية لأهل المنزل بعيدا عن ضرر الكشف.

من خلال ما تم ذكر نلاحظ الرقي المعماري الذي وصلته هذه المدينة وفي هذا العهد بالتحديد نظرا لاحترام مبدأ سد الذرائع، لتجنيب الناس أي ضرر محتمل[31]، وذلك من خلال إيجاد حل لمشكل التصاق المباني وتكتلها مع بعضها، بشكل جعل من نسيجها العمراني متضاما ومنضغطا[32]، ومع ذلك نلاحظ أن مباني هذا النسيج ورغم اتصالها قد راعت مبدأ الخصوصية، من خلال فصل الحياة الخاصة عن العامة، حيث انتظمت وانفتحت فراغات مبانيها حول وسط الدار، كما فصلت عن الخارج بواسطة جدران خارجية صماء في معظمها إلا من خلال الرواشن وبعض الفتحات الصغيرة والقليلة، نظرا لتقديس الدين الإسلامي للحياة الخاصة[33]. يرجح البعض أن صغر حجم وقلة عدد هذه الفتحات المطلة على الخارج[34] قد جاء بغرض الإضاءة والتهوية فقط[35]، إلا أن عناصر هذه العمارة قد لعبت أدوارا مختلفة في شتى المجالات في نفس الوقت.

2-3- الدور الإجتماعي:

بنيت منازل مدينة الجزائر في العهد العثماني وفق عادات متوارثة تتماشى مع سلوك معتاد يعتقد أنها إلزامية في ثقافة المجتمع، فمن خلال النسيج العمراني المتضام لمدينة الجزائر، يبرز التكتل الاجتماعي لأهلها، الذين يتكونون من جماعات منسجمة تتقاسم الكيان ذاته تؤثر بشكل مباشر على طبيعة العمران[36]، حيث نجد الرواشن من الناحية الإجتماعية قد بنيت بشكل بارز على الطريق مما يسمح بربح رؤية طويلة المدى على مستوى الطريق، وبالتالي ارضاء فضول من بالدار على ما يحدث في مساحة هامة من الخارج، حيث اعتبرت الأزقة بمثابة الشرايين التي تصل التكوينات المعمارية فيما بينها، نظرا لأهميتها ولضيقها الكبير وانحدارها الشديد، الذي ساهم التواء الشعاب في توجيهها[37]، مما عمل على ربح مساحة أكبر للرؤية من خلال

فتحتي الروشن. تميزت طبوغرافية المدينة المتدرجة بانقسامها إلى قسمين جزء سفلي الوطى وجزء علوي يدعى بالجبل، يتميز هذا الاخير بانحدارية مقدرة بـ 15 ٪ من جهة الشمال وبـ 20 ٪ من جهة الجنوب. يمكن أن تقارب انحدارية هذا الجبل 40 ٪ أي ما يعادل ميلان علو طابق بين منزلين، استغل السكان هذا الفرق في ميلان الأرض بين منزلين، لإنجاز فضاءات هامة حسب ما يفرضه النسيج العمراني للمدينة كمجال الرؤية بالنسبة للرواشن[38].

يُنجز القبو في موقع هام من المنزل متمثل في الجزء المركزي من الغرفة، لذلك يخصص لاستقبال الضيوف من النساء والتحادث فيما بينهم، كذلك يخصص لمزاولة الأشغال التي تتطلب الهدوء وتستلزم الاتكاء[39]، كونها مهيئة لذلك جراء العادة المتداولة في المجتمع الجزائري التي تجعلهم يفضلون الجلوس متربعين على الأرض، لهذا السبب يتم فتح فتحتي الروشن بمستوى منخفض لتلائم نظر شخص جالس.

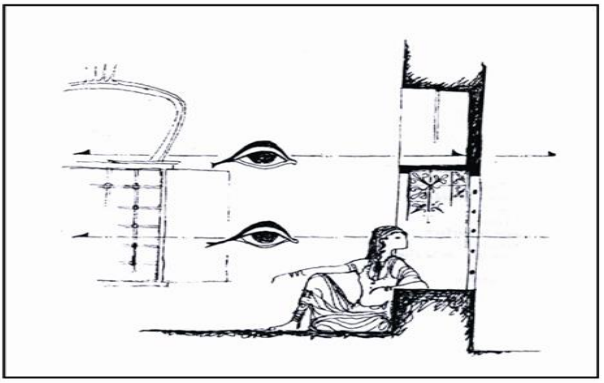

الشكل رقم 4:تفاعل القبو مع أبعاد وطريقة جلوس النساء. عن:(Ravéreau (A.

موقع القبو المتميز في وسط خلفية جدار الغرفة على نفس محور الباب المتكون من مصراعين واسعين منفتحان طوال النهار [40]، يمنحه رؤية متواصلة نحو ما يحدث في وسط الدار وإلى غاية قبو الغرفة المقابلة، لذلك يجب انجازه في منتصف الغرفة، مخترقا بذلك فراغ أحد عقود رواق وسط الدار بصريا، مما يستوجب إنجاز عقود الرواق بعدد فردي في

الغالب، أما إذا كان عددها زوجيا يزاح القبو مع الباب عن وسط الغرفة لتفادي إعاقة العمود الأوسط للمجال البصري، وينجز في مكان ملائم بإزاحة بسيطة كي لا يصد أي عمود من أعمدة الرواق مجال الرؤية في وسط الدار.

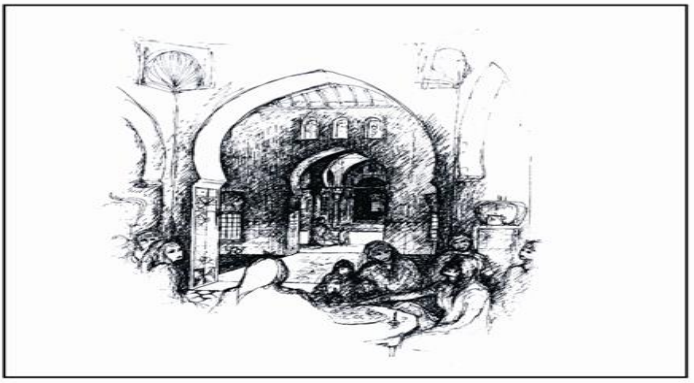

الشكل رقم 5:المجال البصري المتواصل للقبو عبر وسط الدار. عن:(Ravéreau (A.

من خلال تسمية وسط الدار يتضح الدور الأساسي لهذا العنصر في الحياة اليومية، كونه يعتبر عصب منازل مدينة الجزائر التي لا تنفتح على الخارج، إلا من خلاله بشكل أساسي وبالتالي يعتبر متنفسا بسبب اتصاله المباشر مع الوسط الخارجي[41]. يمكن من خلاله عند الجلوس في القبو متابعة كل الأعمال اليومية المزاولة ومشاركة التقاء الأسرة فيه من بعيد[42]. يعتبر وسط الدار النواة الأساسية للمنزل، الذي يكون منعزلا عن الخارج ومنفتحا عليه كما تطل عليه الغرف من جهاته الأربع [43]، مما يبين أهمية القبو معه في الجمع بين الداخل والخارج في نفس الوقت، وفي تقاطع المجال البصري من قبو إلى آخر من خلال وسط الدار هذا، وبالتالي يمكن الإستفادة من منظر الفسقية المنجزة في بعض المنازل، التي تكون على حسب أهمية الدار وثراء أهلها، والتي تتوسط وسط الدار ورغم اعتبارها كعنصر كمالي إلا أن لها أدوارا مختلفة كترطيب هواء المنزل وتلطيف الجو[44]، وبالتالي تساهم النافورة في جذب النسوة للجلوس في القبو والتمتع بها ولو من بعيد، مما يبين تناسق وظائف العناصر المعمارية مع بعض لتوفير جو مريح للسكان.

إضافة إلى الدور الاجتماعي الذي يلعبهه القبو داخليا نجد له دورا آخرا هاما من الناحية الخارجية، حيث تسمح فتحاته الخارجية المتميزة بصغرها وعلوها على مستوى الطريق للنساء بإشباع فضولهن بما يجري في الخارج دون أن يراهن أحد، ودون أن تشعرن أنهن مكبوتات في المنزل. لقد ساهم القبو في استخراج مصطلح جديد في الثقافة الشعبية لمدينة الجزائر، متمثل في مصطلح "توقاب" الذي يعني إشباع الفضول، والذي بقي مستخدما في الموروث الشعبي اللامادي من العهد العثماني وإلى غاية نهاية القرن 20م، نظرا للدور الكبير الذي لعبه القبو في إشباع فضول النساء بما يحدث في الخارج على الرغم من عدم خروجهن وبقائهن في المنزل.

2-4- الدور الجمالي:

أعطت العمارة الجزائرية في العهد العثماني جمالية كبيرة لمبانيها على الرغم من وظيفتها، واستغلالها للفراغ والظروف المتاحة أقصى استفادة ممكنة، فقد أضفت الرواشن من الناحية الجمالية رونقا على الواجهات بشكلها الجميل والمتميز، باعتبار الواجهة هي السطح المقابل والمواجه للناظر، وهي أول ما يرى من المبنى. تبدوا الوجهات بسيطة في مباني الجزائر بفتحات قليلة ذات أبعاد صغيرة، كما تحتوي في الطوابق العلوية على رواشن ذات نمط متشابه وموحد[45]. يتميز قبو الفحص بعقوده ونوافذه الواسعة وخزائنه الحائطية، مما يجعله غاية في الروعة والجمال، خصوصا مع وجود عقد يحدُّ عرض الغرفة عازلا بذلك هذا الجانب عن بقية الغرفة، ليصبح عبارة عن مخدع يُغطى بقبة[46]، يتميز شكلها الخاص بجمالية كبيرة، بأوجهها المثمنة وبشمسياتها الأربع ذات الأشكال والألوان الرائعة[47]. على الرغم من جمالية القبو في الفحص إلا أن جماله الحقيقي معتمد على بساطته في المدينة، لأن معناه الحقيقي كامن في المنظر الوحيد للفراغ الموجود وسط الغرفة[48].

2-5- الدور النفسي:

من الجوانب العديدة التي لعبت فيها العمارة الجزائرية أدوارا فعالة نذكر الجانب النفسي، حيث عمل بروز وتداخل الواجهات في شكل الرواشن على كسر الملل من الناحية البصرية، كذلك اللون الأبيض المستعمل في دهن واجهاتها الذي يعطي راحة وهدوء نفسيا، كما أن مجالها البصري يمتد أكثر مع هذا اللون خارجيا، أما داخليا فيعمل القبو على كسر الملل الناتج عن ضيق وطول الغرفة[49]. كما يجعل القبو النسوة يشاركن ما يحدث بالخارج عن طريق فتحتين صغيرتين تقع على جانبي الروشن بعلو شخص جالس في المدينة، مشرفة بذلك على كامل الزقاق المبنية فوقه[50]، وبالتالي يحسسن بالتحرر النفسي بمجرد اتصالهن بالهواء الطلق ورؤية ما يحدث بالخارج مما يمنحهم صفاءً وراحة نفسية. بالنسبة للمنازل المحتوية على فسقية التي تبعث بدورها على الراحة والطمأنينة، فخرير المياه يعد من أهم العناصر الطاردة للكآبة لمن يجلس بالقبو ويتمتع من بعيد بها. أما أبواب الغرف التي تبقى مفتوحة معظم الأوقات، فهي تعزز التواصل المكاني مابين القبو ووسط الدار وبالتالي تمنح الجالسين بالقبو الإحساس باللا حدود وعدم التقييد المكاني. أما بالنسبة لقبة قبو الفحص فإضافة إلى استخدامها كحل إنشائي للانتقال من المسقط المربع إلى المسقط الدائري، إلا أن لها جانبا نفسيا يتمثل في اعتبارها عنصر روحاني يرمز إلى السماء، كونها تعد صورة مصغرة لاتساع الأفق[51]، كما أن شكلها المختلف ذو الجوانب المتعددة يعمل على كسر الملل عن الناظرين وشد انتباههم[52].

خاتمة:

خرجنا من بحثنا هذا بعدة نتائج تبين قيمة العمارة الجزائرية في العهد العثماني، والدور الكبير الذي لعبته في توفير حياة ملائمة للسكان، من خلال حلول أعطتها عناصرها المعمارية مما يبين الوظيفة الهامة التي لعبتها هذه العناصر، حيث تفاعلت هذه العمارة مع العوامل البيئية والبشرية المذكورة سابقا، وتأثرت بها بشكل انعكس على شكل ووظيفة

عناصرها المعمارية عدا دورها الإنشائي التي أنجزت من أجله. نذكر من بين هذه العناصر القبو نموذج دراستنا الذي أخذ تسميته من كلمة قبة التي تغطي فراغه في ديار الفحص، أما في المدينة فيدعى بروزه نحو الخارج بالروشن. لعب القبو وظائف عديدة غير دوره الإنشائي –المتمثل في ربح فضاء إضافي–، ذكرنا أهمها في هذا المقال كالدور المناخي والإجتماعي والديني والنفسي والجمالي، إضافة إلى دور هام آخر متمثل في اثراء التراث اللامادي للأمة الجزائرية، فنظرا لدوره الإجتماعي الذي مكن النساء من إشباع فضولهن بما يحدث في الخارج، استنبط من تسميته مصطلح "توقاب" الذي يعني إشباع الفضول، والذي بقي مستخدما في مدينة الجزائر إلى غاية يومنا هذا.

تميزت عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني بكونها عمارة وظيفية تعتمد على تصميم المبنى حسب الوظيفة المسندة إليها، حيث تأثر شكلها بالدور الذي تؤديه، كونها احترمت المعايير الهامة للإنجاز المتمثلة في المتانة والراحة والمنفعة إضافة إلى الجمال، لذلك جاءت تصاميم مبانيها على أساس الغرض المرجو من انجازها. بناء عليه وجب إقامة دراسات من هذا النوع لتبرز أهمية هذه العمارة، ودورها في سليط الضوء على التراث اللمادي العقاري للأمة الجزائرية، الذي كان ملهما للعديد من المهندسين المعماريين العالميين.

---

[1])-Ravéreau (A.**); La Casbah d'Alger et le site créa la ville**, Sindbad, Paris,1989,P.93

[2])-Broughton (E.); **Six years residence in Algiers**, Saunders and Otley, London,1839, P.276

[3])-Missoum (S.) ; **Alger à l'époque ottomane**,U.E, Alger,2003, P.220

[4])-Ravéreau (A.);Op.Cit,P.93

[5])– عاصم (محمد رزق)، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**،مكتبة مدبولي، مصر،2000 ، ص.126

[6])– نفسه ، ص. 97

[7])– صالح (لمعي مصطفى)، **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، الجامعة العربية، بيروت، 1975، ص. 123

[8])–حمدوش (زهيرة)،""المشربيات في عمارة القصور بالجزائر"، **مجللة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية**،المجلد.1،العدد.1 ،29-04-2021 ، ص.46

[9])– عاصم محمد (رزق)، المرجع السابق، ص.292

[10])–خالد (عزب)، **فقه العمارة الإسلامية**، ط.1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997، ص.84

[11])-Depaule (J.C.) et Arnaud (J.L) ; **A traver le mur**, Aubin, France, 1985, P .290

[12])-KAYA (Çağla). ÖNCEL (Fernaz); « Heybeliada'da Köşk Mimarisi Gelişimi Kapsamında Nikolaidis (Horozoğlu) Köşkü'nün Fiziksel Bozulma Sorunları ve Önerileri », **İstanbul Ticaret Üniversitesi Teknoloji ve Uygulamalı Bilimler Dergisi**,Cilt : 4, Sayı :2,2022,S.122

[13])–عاصم (محمد رزق)، المرجع السابق ، ص. 21

[14])-Ravéreau (A.); Op. Cit, P.93

[15])-Marçais (G.) ; **L'architecture musulmane d'occident. Tunis. Algerie. Maroc. Espagne. Sicilie**,Arts et métiers graphique, Paris, 1954, P. 454

[16])-Mutçalı (Serdar) ; **Türkçe –Arapça sözlük**, Dağarcık, Ankara, 2012, S.195

[17])-Çetin (Yusuf), " Geleneksel Türk Evinde Cumba" , ***Sanat Tarihi Dergisi*** ,Cilt :15, Sayı :2, Türkiye, 1 Aralık 2006,S20.

[18])- A.G.M.,S22.

[19])-Chevalier d'Arvieux ; **Mémoire du Chevalier d'Arvieux**, Mise en ordre par. R.P.J.Baptiste Labat,J.B .Delespine,Paris,1735, P. 226

[20])- Ravéreau (A); Op. Cit, p. 75

[21])– محمد بدر الدين (الخولي)، **المؤثرات المناخية و العمارة العربية**، جامعة بيروت العربية، لبنان،1975، ص. 50

[22])– المرجع نفسه ،ص.38

[23])– محمد عبد الستار(عثمان)، **المدينة الإسلامية**، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1999 ، ص. 188

[24])– محمد بدر الدين (الخولي)، المرجع السابق، ص. 38

[25])– المرجع نفسه ، ص. 34

[26])– خالد (عزب)،المرجع السابق، ص.46

[27])– نفسه ، ص. 32

[28])-Missoum (S) ; Op. Cit, P. 231

[29])- IBID, p. 232.

[30])–خالد (عزب)، المرجع السابق، ص. 83

[31])– وليام(شالر)، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–**1824،ترجمة. إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت ،الجزائر،1982 ، ص. 97

[32])– محمد بدر الدين (الخولي)، المرجع السابق، ص. 46.

[33])– نفسه، ص. 48

[34])– وليام(شالر)، المصدر السابق، ص. 95

[35])– يحيى(وزيري)، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي،مصر،2000 ، ج .1، ص. 65

[36])– رولان (درون) و فرنسواز (بارو)، **موسوعة علم النفس**، ترجمة.فؤاد شاهين، منشورات عويدات، بيروت،1997، مج. 1، ص. 201

[37])– عبد الرحمان(الجيلالي)، **تاريخ المدن الثلاث.الجزائر.المدية.مليانة**، ط.2، مديرية الفنون والآداب، الجزائر،2005 ، ص. 79

[38])- Missoum (S.) ; Op. Cit , P. 231

[39])-Ravéreau (A); Op. Cit, p.73

[40])-Broughton (E.) ; Op. Cit, p. 277

[41])- IBID, p. 275

[42])-Shaw (Th.) ; **voyage dans la régence d'Alger**, Trad. de J. Mac Earthy, Marlin, Paris,1830,p. 94

[43])-Marçais (G.) ; Op .Cit, P .442.

[44])– محمد بدر الدين(الخولي)، المرجع السابق، ص. 42.

[45])-Chevalier d'Arvieux ; Op. Cit, P .226

[46])-Marçais (G.) ; Op .Cit, p .442

[47])– محمد بدر الدين (الخولي)، المرجع السابق، ص. 34

[48])- Ravéreau (A); Op. Cit, p. 75

[49])- IBID, p. 75

[50])- Idem, p. 74

[51])– يحيى(وزيري)، المرجع السابق ، ج . 2، ص. 79

[52])–محمد الطيب (عقاب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000 ، ص. 186

–قائمة المصادر والمراجع:

–باللغة العربية:

–حمدوش (زهيرة)،""المشربيات في عمارة القصور بالجزائر"، **مجللة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية**،المجلد.1،العدد.1 ،29-04-2021 ، ص.ص.46-51.

–خالد (عزب)، **فقه العمارة الإسلامية**، ط.1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997.

– رولان (درون) و فرنسواز (بارو)، **موسوعة علم النفس**، ترجمة.فؤاد شاهين، منشورات عويدات، بيروت،1997 ،مج. 1.

– صالح (لمعي مصطفى)، **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، الجامعة العربية، بيروت، 1975.

– عاصم (محمد رزق)، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**،مكتبة مدبولي، مصر،2000.

– عبد الرحمان(الجيلالي)، **تاريخ المدن الثلاث.الجزائر.المدية.مليانة**، ط.2، مديرية الفنون و الآداب ، الجزائر،2005.

–محمد الطيب (عقاب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000 .

– محمد بدر الدين (الخولي)، **المؤثرات المناخية و العمارة العربية**، جامعة بيروت العربية، لبنان، 1975.

– محمد عبد الستار(عثمان)، **المدينة الإسلامية**، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1999 .

– وليام(شالر)، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–**1824،ترجمة. إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت ،الجزائر،1982.

– يحيى(وزيري)، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي،مصر،2000 ، ج .1.

–باللغة الاجنبية:

-Broughton (E.); **Six years residence in Algiers**, Saunders and Otley, London,1839.

-Çetin (Yusuf), " Geleneksel Türk Evinde Cumba" , ***Sanat Tarihi Dergisi*** ,Cilt :15, Sayı :2, Türkiye, 1 Aralık 2006,S. S.18-27.

-Chevalier d'Arvieux ; **Mémoire du Chevalier d'Arvieux**, Mise en ordre par. R.P.J.Baptiste Labat,J.B .Delespine,Paris,1735.

-Depaule (J.C.) et Arnaud (J.L) ; **A traver le mur**, Aubin, France, 1985.

-KAYA (Çağla). ÖNCEL (Fernaz); « Heybeliada'da Köşk Mimarisi Gelişimi Kapsamında Nikolaidis (Horozoğlu) Köşkü'nün Fiziksel Bozulma Sorunları ve Önerileri », **İstanbul Ticaret Üniversitesi Teknoloji ve Uygulamalı Bilimler Dergisi**,Cilt : 4, Sayı :2,2022, S.S.121-146

-Marçais (G.) ; **L'architecture musulmane d'occident. Tunis. Algerie. Maroc. Espagne. Sicilie**,Arts et métiers graphique, Paris, 1954.

-Missoum (S.) ; **Alger à l'époque ottomane**,U.E, Alger,2003.

-Mutçalı (Serdar) ; **Türkçe –Arapça sözlük**, Dağarcık, Ankara, 2012.

-Ravéreau (A**.); La Casbah d'Alger et le site créa la ville**, Sindbad, Paris,1989.

-Shaw (Th.) ; **voyage dans la régence d'Alger**, Trad. de J. Mac Earthy, Marlin, Paris,1830.